ومنظّروه والصائغون من مريديه الضائعون المستهترون .. فلهم خلاصهم وعليهم قصاصهم .. ولكن الذي يعْنينا، حشدٌ جديد ومتجدد، من الأسئلة المجابة تلقائياً حتى لتكاد تكون بدهية. منها: إلى أي مدى وصل الحوار، ما بين المثقف المنتمي ومؤسسته الانتمائية، بمعناها الثقافي والايديولوجي والاجتماعي؟! .. ونسأل أيضاً، ماذا قدّمت المؤسسة لمثقفيها، وكيف قايض المثقف هذه التقدمة؟! ونسأل: ماذا قدم الأغنياء المنتمون غير المثقفين إلى الفقراء المثقفين المنتمين؟! .. ونسأل ونسأل حتى يتكامل الخطاب ولا نقع في مغالطات التماس الأعذار للمثقف الهاوي، والمثقف المتواري، والمثقف المنشق، والمثقف المتواطئ، والمثقف الداشر .. الخ ..»

ويتابع فايز خضور: «صحيح أننا جميعاً مقصّرون بشكل أو بآخر، مثقفين ومؤسسات. ولكنْ يبقى اللومُ الأكبر، والعبءُ الأبهظ على عاتق المؤسسة؛ فهي التي تحتوي وتحمي وتنهض، لكونها جماعية التحرك والتوجه والمجابهة، وليست فردية عزلاء، أحادية السلاح، عُرضةً لتقلبات الفصول والأنواء والأهواء. وحتى يبقى مثقفنا المبدع معطاء، فإنه بحاجة إلى الحد الأدنى من الكفاية، والحماية، والرعاية، والتقدير، وايصال القطوف.»

أيضاً أُوردُ ما قاله د. عرسان في حديثه لمجلة **الحرية**[٢٣]، متمنياً لمؤسسة اتحاد الكتاب أن تبقى على ما عبر عنه د. عرسان في حديثه قائلاً: «نحن في اتحاد الكتاب نرفض الاعتراف بالعدو الصهيوني ونرفض أي شكل من أشكال تطبيع العلاقات، حتى لو اعترفت الأنظمة العربية جميعاً، بما في ذلك سورية (لا سمح الله) به، وقد أعلنّا ذلك مراراً».

أخيراً، لمّا كان قرار فصل أدونيس والدجاني قد أخذ أكثر من حجمه لدى مؤيدي القرار ومناهضيه، فإني أُذَكِّر بما قاله الأستاذ نزار سلوم عميد الثقافة والفنون الجميلة في الحزب السوري القومي الاجتماعي على صفحات **السفير**[٢٤]: «إننا نحذر من زيادة الإمعان في عمليات فرز وخندقة عناصر المشهد الثقافي، بشكل يجعلها تتجه لخوض «حرب أهلية ثقافية» بينما يمر المصير القومي برمته، في أدق مراحله وأخطرها. ولا يعني ذلك، بوجه من الوجوه، أننا ندعو إلى إلغاء حق الاختلاف وحالاته، بل ندعو إلى ارتقاء فني وأخلاقي خصوصاً في ممارسة هذا الحق، بشكل يجعله سبباً في ارتفاع درجة حيوية الفعل الثقافي العام».

حمص – سوريا

مناقشات (٢)

أدونيس والمحاججة الفقيرة

صبحي حديدي

نشرت **الآداب** (أيار حزيران ١٩٩٥) ردّ أدونيس على الردود الثلاثة التي سبق لمجلتكم أن نشرتها في عدد آذار – نيسان. وقد طالني ردُّ أدونيس في مسألتين: تقديمه لمختارات من نصوص الإمام محمد بن عبد الوهاب، والمقال الذي وقّعتُه مع الصديقين الدكتور صبري حافظ وكاظم جهاد. وأرجو أن تتحمّل **الآداب** المزيدَ من عبء هذا الحوار (الساخن أو العصبي بهذا القدر أو ذاك، ولكن المفيد في جميع الأحوال) فتتكرم بنشر ملاحظاتي هذه حول المسألتين.

أولاً، نصوص محمد بن عبد الوهاب:

لقد كنتُ، في حدود ما أعلم، أولَ من أثار حكايةَ اختيار أدونيس وخالدة سعيد وتقديمهما لنصوص الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، وذلك في صحيفة **القدس العربي** اللندنية، بتاريخ ١٩٩٤/١١/٢٦. وقد تساءلت يومذاك عن أمرين:

١– كيف يبرر أدونيس إدراجَ عقيدة الإمام محمد بن عبد الوهاب في فكر النهضة؟

---

٢٣ – ٥٨٥ / ٩٥.
٢٤ – ٩٥/٤/٦.

٢– لماذا يرفض أدونيس إدراجَ الكتاب [مختارات الامام] في لائحة أعماله وترجماته ومختاراته، كما هو حاله مع مختارات يوسف الخال والشعر العربي والسياب وشوقي والرصافي والكواكبي ومحمد عبده ورشيد رضا والزهاوي؟.

ثم تناول الصديق الدكتور صبري حافظ، وآخرون، هذه المسألة بين قضايا أخرى تتصل بسلوك أدونيس ومواقفه من التطبيع. وفي ردّ أدونيس على الردود أعلن أنّ مقدمته لكتاب **محمد بن عبد الوهاب** ليست «إلا فصلاً من كتاب **الثابت والمتحوّل** (الطبعة الجديدة، بأجزائها الأربعة، دار الساقي، بيروت ١٩٩٤). وقد صدرت مع مختارات من كتاباته، عن دار العلم للملايين، ضمن مشروع عن مفكّري عصر النهضة (وأنا أول من نقد هذه التسمية، ودعا إلى تغييرها)، سمّيناه ديوان النهضة» (انتهى كلام أدونيس). ويضيف: «قدّمتُ الوهابية بموضوعية كاملة (...) وقد طرحت عليها، بعد عرضها، أسئلةً تُظهر مدى الخلل فيها ومدى انفصالها عن الواقع المعيشيّ الحيّ».

والحق أن إيضاح أدونيس لا يضيف جديداً بقدر ما يزوّدنا بمادة لتساؤلات إضافية، وذلك للأسباب التالية:

١ – أن تكون مقدمتُه لكتاب محمد بن عبد الوهاب فصلاً من **الثابت والمتحوّل** (وهي كذلك بالفعل، وأدونيس يحيلنا على الطبعة الرابعة) لَهو أمرٌ لا يغيّر حقيقة أنها نُشرت في سلسلة «ديوان النهضة» كتقديم خاص بنصوص محمد بن عبد الوهاب. ولا ريب في أن أدونيس اشتغل على النص لكي يكون **مقدمة**، فعدّل أو حذف أو أضاف على النص كما يظهر مرتّين، في التقديم وفي الجزء الثالث – الطبعة الثالثة من **الثابت والمتحوّل**. وهنا بعض الأمثلة:

أ – «إن في تصانيف الإمام محمد بن عبد الوهاب، خصوصاً في إعادة نشر مختارات منها مندرجة في إطار عصر النهضة، ما يفرض علينا أن نتساءل حول بعض القضايا التي تواجه المسلم...». (المقدمة).

– «إن في تصانيف الإمام محمد بن عبد الوهاب ما يفرض علينا أن نتساءلَ حول...». (**الثابت والمتحوّل**).

ب – «صحيح أن التقدّم في الإسلام، على الصعيد اللاهوتي، ليس "أفقياً" أو "عمودياً" بل "دائري".. (المقدمة).

– «صحيح أن التقدم في الإسلام، على الصعيد اللاهوتي، ليس أفقياً، بل "عمودي"». (**الثابت والمتحوّل**).

ج – «وننقد، كمثل آخر، وثنية الواحد السياسي، التي هي نقيض للشورى، ونقض لها». (المقدمة).

– «وننقد، كمثل آخر، وثنية الواحد السياسي، التي هي نقيض للشورى». (**الثابت والمتحول**).

٢ – أين، في المقدمة، نعثر على طرح أدونيس لأسئلة «تظهر مدى الخلل» في النظرية الوهابية، و«مدى انفصالها عن الواقع المعيشي"؟» أقصى ما تنطوي عليه «الأسئلة» هو غمغمة غامضة حول التاريخ والتقدم ووثنيّة المال والواحد السياسي، وليس فيها أي موقف نقديّ ملموس، وهي لا تشير قطعاً إلى خلل أو انفصال عن الواقع. ولكنها، من جانب آخر، تلجأ إلى «عيار» عالٍ من التبطين الفلسفي لكلام صريح قاله الإمام بلا تأتأة: التغليظ الشديد في المصوّرين لأن الصورة تشبُّهٌ بالله وكَذبٌ على الخلقة الإلهية وتمويهٌ وتزويرٌ وتوثين، أي شرك وكفر. وأما حجاب المرأة فموقفُ الإمام منه أكثر صلابة، وهو كتيمٌ تامّ مغلق لا يحتاج – ولا يقبل – أي تحصين «ميتافيزيقي» أو تبطين فلسفي.

وفي جميع الأحوال، ليس ثمة التباسٌ في العبارة التصالحية الأخيرة التي تختتم مقدمةَ أدونيس: «هذه تساؤلات [وليس أسئلة!] لا تقلّلُ في شيء من أهمية التصانيف التي تركها الأمام محمد بن عبد الوهاب. وليس هذا مما تهدف إليه. إنها مطروحة لغاية واحدة: المزيد من المعرفة، والمزيد من الفهم».

٣– أين، في التقديم أو في أيّ مكان آخر، سوى الردّ المنشور في **الآداب**، نقرأ «نقدَ» أدونيس لتسمية «عصر النهضة» أو اعتراضه (الذي يتوجّب أن يكون حاسماً وصلباً) على إدراج عقيدة محمد بن عبد الوهاب في أيّ فكر نهضوي؟ لماذا لم يسجّل هذا النقدَ في المكان الأبرز اللائق به، أي في المقدمة ذاتها؟.

٤– ويبقى التساؤلُ الأخير: لماذا يخجل أدونيس من هذا الكتاب ولا يدرجه في لائحة أعماله الكاملة، كما نجدها مفصلةً في الطبعة الأخيرة من **الثابت والمتحوّل** أو في مجموعته الشعرية **في حضن أبجدية ثانية؟**

ثانياً، حول البيان «الكئيب»:

يقول أدونيس: «وهذا الدكتور نفسه [ويقصد صبري حافظ] نشر مؤخراً بالاشتراك مع شخصين آخرين، سوري وعراقي (...) بياناً باللغة الفرنسية، بياناً كئيباً، يشكونني فيه للغرب (الصديق؟ العدو؟) وكأنهم يقولون له: «لا يغرّنك أدونيس. إنه "نازي" (بالحرف الواحد) ورئيس حزبه "شنقه السوريون" (بالحرف الواحد). وهو إلى ذلك "خميني" و"وهابي" و"أصولي – رجعي". وماذا يعني ذلك، عملياً، وفي الوضع الراهن الذي يعيشه العرب في فرنسا؟ إنه يعني بوضوح كامل: أيها الفرنسيون، اعتقلوا أدونيس، أو اطردوه!» (انتهى كلام أدونيس). وفي مكان آخر يقول أدونيس: «واسمحْ لي أيها الصديق العزيز [الدكتور سهيل ادريس] أن أستطرد فأشير إلى أن هناك مستوى من سوء النية عند كل من يكتبون ضدي، ومستوى من الضغينة والتفاهة، أحار في تعليلهما».

ورغم أن الجملة الأخيرة تجبّ ما قبلها وما بعدها حين يتصل الأمر بأيّ كتابة ضد أدونيس، لأنها تقوم عند كلّ من يكتبها على سوء النية والضغينة والتفاهة، فإنّ الملاحظات التالية لا تسعى إلى إقناع أدونيس بوجود من يقدّره كمبدع وشاعر كبير وإشكالي [لكنّه] يختلف معه في هذه القضية الفكرية أو السياسية أو الجمالية أو تلك دون أن يكون [ذلك المقدّرُ] ضده بالضرورة. إنها ملاحظات لجلاء الصورة الأخرى من الحقيقة، وهي الصورة التي حرص أدونيس على طمسها في سياق محاججة فقيرة (...) لا تليق بصاحب «تحوّلات العاشق» و«صقر قريش» و«إسماعيل»:

١ – نحن، كاظم جهاد وكاتب هذه السطور، لسنا من النّكرات... أو لسنا كذلك عند أدونيس على الأقل! ولسنا «شخصين آخرين، سورياً وعراقياً» وما يلي ذلك من تتمة حذفتها **الآداب** كما يبدو حين فتحتْ هلالين بينهما ثلاث نقاط. أليس من المدهش أن يختار [أدونيس] استراتيجيات الإلغاء ذاتها التي يشكو أنه ضحيتها المفضّلة؟ أليس من الفاضح أن تتوقف مساحةُ الآخر لديه عند مضائق الأنا الجريحة (أسيرة استيهام الجرح، وليس [ثمة] أيُّ جرح في الواقع) فيلغي الاسم ويقصي الآخر في محض انتماء جغرافي، ما خفي فيه قد يكون الأعظم؟

٢ – نحن لم نوقّع أيَّ «بيان»، بل اخترنا توجيه **كتاب أبيض** باللغة الفرنسية إلى عدد محدود للغاية (لم يتجاوز الثلاثين) من الكتّاب والمفكرين الفرنسيين، نطلعهم فيه على حقيقة وملابسات فصل أدونيس من اتحاد الكتّاب العرب. وقد جاءتْ خطوتنا هذه إثر نشر دوريات فرنسية نافذة (**ليبراسيون** و **نيلبراما** و **الفيغارو**) سلسلة تفسيرات زائفة حول أسباب الفصل، لا تُلحق الأذى بالثقافة العربية وحدها، بل بالعرب أجمعين. وبين تلك الأكاذيب أن أدونيس فُصل بسبب اقتباسه(!) بضعة سطور من مفكرين وشعراء يهود مثل دريدا وجابيس وليفيناس، وبسبب قوله إنّ اليهود ينتمون إلى تاريخ الشرق الأوسط (!) في مقال نشرته مجلة **الآداب** المصرية (نعم، **المصرية!!**)، وسوى ذلك من أسباب ملفّقة أثارتْ بلبلةً لدى العديد من أصدقاء الثقافة العربية.

٣– لم تكن «حربُ الاستئصال»، على حد تعبير أدونيس، هي هدفنا، ولم نترجم الرسالةَ هذه [المقصود: **الكتاب الأبيض**] إلى اللغة العربية ولم ننشرها في أي مكان، ولم نرسلها إلا للذين تقتضي ضروراتُ الحقيقة أن يطلعوا عليها. ولقد سبق لي شخصياً أن أعربتُ عن شجبي لفصل أدونيس من اتحاد الكتّاب ولتحريم حضوره مهرجانَ جرش، لا لأنني أوافق على أيّ من مواقفه (وأشدد هنا على صيغة الجمع) بل لأنه حرّ في ما يقول ويفكّر ويختار، وحرّ بصفة إضافية لأنه جزء كبير لا يتجزأ من المشهد الثقافي العربي المعاصر. وأن «يترفّع» عن الخوض في «الحروب» أمر لا يجعل الخلاف معه هو «الحرب» ولا شيء سوى الحرب.

٤ – ولم نكن نشكوه إلى «الغرب»، صديقاً كان أم عدواً، وليس في وسعنا أن نحرّض الغرب (ولا الشرق، بهذا المعنى!) على اعتقال أدونيس أو طرده، كما يعلم هو شخصياً ويعلم ذلك أكثر منّا. ومن المحزن بالفعل أن ينجرف إلى هذه الحافة البائسة في التأويل والتحريض الممتزج بتوابل الاستعطاف وسيكولوجية الضحيّة المساقة إلى القتل، وهو الذي يعرف حقيقة موقعه في «الغرب» ذاته. ومن المحزن والمحرج أن يذهب في التعميم إلى حدّ القول إنه شخص «تُلقى عليه **جميع** الخيبات والإحباطات والأخطاء، وتُنسب إليه **جميع** المخازي، بحيث يخيّل أن الخلاص منه هو وحده الخلاص من **جميع** الكوارث والهزائم، وأنّ انتصار الأمّة لا يتمّ إلا بقتله ومحوه من الوجود».

٥ – شاءت كيمياءُ أدونيس العجيبة أن تستخرج من بعض نصوص **الكتاب الأبيض** توصيفات «نازي» (و«بالحرف الواحد» كما يكتب)، و«خميني» و«وهّابي» و«أصولي – رجعي». والحق أننا لم نستخدم أياً من هذه لتوصيف شخص أدونيس، بل تابعنا المسارَ الفكريَّ المتقلّب الذي قاد أدونيس من الحزب السوري القومي الاجتماعي (وهنا أشرنا – ولم نأت بجديد في الواقع – إلى بعض التطابق في التسمية والخط الإيديولوجي والتنظيمي بين هذا الحزب والحزب النازي الألماني، وانخراط أدونيس النشط في التمثيل الشعري لمواقف الحزب بصدد سوريا الكبرى، كما تدلّل عليها مجموعتاه **قالت الأرض** و **إذا قلت يا سوريا**)، إلى الإسلاموية الخمينية (وتدلّل عليها قصيدتُه في مديح الخميني)، إلى تقديم نصوص لمحمد بن عبد الوهاب بوصفها تنتمي إلى تراث النهضة، إلى عدائه الراهن للقوميّة و«الأصوليّة» على حدّ سواء (كما نلمسه في مقاله «حول مأزق الحداثة في المجتمع العربي» المنشور مطلعَ هذا العام في شهرية معهد العالم العربي)، وأخيراً سلسلة مواقفه بصدد التطبيع. وليس في **الكتاب الأبيض** أيُّ استخدام لصيغة الموصوف/ الصفة (أدونيس نازي، أدونيس خميني، ...) التي يوحي أدونيس أن بعضها يَرِدُ حرفياً، وأننا نريد بها تحريضَ الفرنسيين على اعتقاله أو طرده. ومادام قد قرأ النص الكامل، فإنّ بمقدوره أن يصدر حكمه الأخلاقي الخاص على اضطراره – **هو بالذات** – إلى استيلاد قمصان التحريض الزائفة ورفعها. وليَدَعْ حكمه ذاك لضميره وحده إذا شاء!

٦ – ولقد أردنا القول إنّ أدونيس ليس ضحيةَ القمع العربي الشامل على الصعيدين الرسمي أو النقابي، لأن اتّحاد الكتاب العرب (سورية) لا يمثّل جميعَ اتحادات الكتّاب في العالم العربي، وهذه بدورها لا تمثّل الحكومات أو المثقفين قاطبة. وهو ليس ضحية موقف جذريّ صريح من أيّة قضية أو موقف محدّد، لأنه مرّ (ويمرّ) على جملة قضايا ومواقف في آن معاً ودون كبير عناء ووعثاء. وهو، اليوم بالذات، ليس ضحية ثقافةٍ عربيةٍ متعصّبة وسكونية وجاهلية وأصولية، إلى آخر التهم التي انبرى الفرسانُ المدافعون عنه إلى إخراجها من خزائن الحرب الباردة وتوزيعها، بسخاء

سادي، على إعلام غربيّ متعطّش إلى مزيد من وثائق تأثيم العرب والثقافة العربية.

٧ – ويبقى أنه يجأر بالشكوى من «العقلية السحرية البدائية» و«التمذهب الأعمى» حيث الكلمات ليست «إلا أدوات للعنف والإرهاب والقتل: أبيض أو أسود.. معنا أو ضدنا.. هذه الطريق أو لا طريق أخرى.. لا تدرّج.. لا إحساس بالفروقات.. لا فكر». ولكنه هو الذي يقول: «هناك مستوى من سوء النية عند **كلّ** من يكتبون ضدي، ومستوى من الضغينة والتفاهة أحار في تعليلهما». فماذا عن الذين يكتبون معه، **كلّ** الذين يكتبون معه؟ منذ أيام نشر الاسرائيلي يورام كانيوك مقالاً في **لوموند** حافلاً بالأكاذيب الرخيصة حول المثقفين العرب والتطبيع، ردّ فيه سبب فصل أدونيس من اتحاد الكتّاب إلى قبول أدونيس تقاسم جائزة أدبية مع الاسرائيلي ناتان زاخ. وأين لنا أن نكون على مستوى أمثال كانيوك في اللا–ضغينة واللا–تفاهة!

* * *

وفي الختام، لست أفوّت هذه الفرصة دون أن أسجّل تحيّة اعتزاز بمجلة **الآداب** وبدورها المعرفيّ، الطليعيّ والجداليّ الفريد، الذي تولّتهُ بشرفٍ وأصالة وعمق كلما اقتضى الأمرُ أن تمرّ الثقافةُ العربيةُ بمنعطف مصيريّ نوعيّ واستثنائيّ، وأن أحييكم (د. سهيل ادريس) شخصياً كأبٍ وصديق ورائد ومحارب ثقافيّ قديم – جديد، ومتجدّد.

باريس

مناقشات (٣)

كتّاب المغرب و «الآداب» المخصّصة لهم!

عبد الحق لبيَض

كرست مجلة **الآداب** بإصدارها لملف خاص عن الأدب المغربي الحديث في عدديها الأوّل والثاني (كانون الثاني وشباط ١٩٩٥) – بعد أن كانت قد أفردت لهذا الأدب عدداً خاصّاً سنه ١٩٧٨ – نهجَها الذي شكّلَتْ ملامحَه المركزية منذ افتتاحية العدد الأوّل في سنة ١٩٥٣، حيث جاءت هذه الافتتاحيةُ نابضةً بحرارة التحدّي والفعل الايجابي في واقع مثقل بالخيبات ومقيَّدٍ بأغلال التقليد وسابحٍ في تيار الجمود. واستطاعتْ مجلة **الآداب** أن تفي بوعودها على غير عادة المنابر الثقافية العربية العديدة، حتى صارت، وبحق، المجلة العربية الأولى، ولُربما الوحيدة، التي تؤمها أقلام الأحرار من مثقفي الأمّة العربية وتشكل بالنسبة إليهم فضاء الوحدة العربية حين يصاب الجسمُ العربي بجرثومة التشرذُم والتفتت. فكانت بذلك، في تاريخ الثقافة العربية الحديثة، نقيضَ سلوك الأنظمة العربية التي دأبت على تفتيت الثقافة العربية من خلال تشجيعها للثقافة الإقليمية واحتفائها بكل ما يضرب الثقافة العربية القومية في عمقها.

إنّها رسالة **الآداب** الدائمة والممتدة في تاريخ وعينا وسلوكنا الثقافي العربي. ويكفي أن نبرهن على ذلك من خلال ملف «الأدب المغربي الحديث» الذي نشرته المجلة وصار يؤرّخ لمرحلتين في مسار الأدب المغربي: مرحلة ما قبل الملف، ومرحلة ما بعده. بل اعتبره البعض وثيقةً تؤرخ لمسار الإبداع المغربي. وينضاف إلى ذلك أن نسخ عدد مجلة **الآداب** الخاصة بالأدب المغربي الحديث بدأت تعرف طريقها إلى آلة الاستنساخ بعد أن نفدت في الأسبوع الأوّل من توزيعها؛ وهي ظاهرة استثنائية في مشهدنا الأدبي المغربي إذ لا نعيشها حتّى مع المجلات الثقافية الوطنية (مجلة **آفاق** التي يصدرها اتحاد كتاب المغرب مثلاً). وحين استفسرتُ العديد من أصدقائي الأدباء والمفكرين أكّدوا لي جميعاً أنّه إذا كان ملف سنة ١٩٧٨ يمثّل تأريخاً واستقراء للأدب المغربي في مرحلة ما بعد الاستقلال واستجلاءً لأسئلتها الجوهرية وكشفاً عن همومها ومشاغلها، فإنّ ملف سنة ١٩٩٥ يعدّ بمثابة مسح لتجربة الإبداع المغربي المشرف